(فسيفساء النيل)

(The Nile Mosaic)

مقدمته

منى محمد مجدى قناوى

مدرس بكلية الفنون الجميلة بالاسكندرية

قسم التصوير

شعبة جدارى

٢٠٠٥

bstbfd 12165668

بسم الله الرحمن الرحيم

(فسيفساء النيل The Nile Mosaic)

مقدمة

عندما ننظر الى فن الفسيفساء عبر التاريخ فانه يبدو كما لو أنه نهر عظيم يسير وسط صحراء واسعة. فى بعض الأحيان يختفى ثم يعود مرة اخرى للظهور. يقوم فن الفسيفساء على عدد لانهائى من الأحجار الطبيعية و الحصى و الرخام و الأزمالت، و لكنه يمثل أيضا العمارة سواء أكانت أرضية أو جدارا أو قبة ..و لم يكن فى كثير من الأحوال يتمتع بنفس الثبات الخاص بالعناصر المعمارية التى ارتبط بها ، ذلك لأن ليونة الخطوط و مرونتها الخاصة بتلك التراكيب غير المتماثلة و التى نقلت حسا عقائديا دفينا، عبرت دون تحفظ عن دخائل النفس فى مزيج شعورى يجمع بين البهجة و الحزن ، و بين الجرأة و التقليدية ، أو بين الشفافية و الغموض .

و فى عصرنا الحديث نجد أننا قد تعودنا على رؤية العديد من أعمال الفسيفساء المنتشرة فى أماكن مختلفة مثل حمامات السباحة ، المطارات ، المستشفيات ، محطات المترو..الخ و مع الانتشار الكبير الذى حظيت به هذه الأعمال ، نجدها قد فقدت الكثير من قيمتها الخاصة و من تفردها اللذين ارتبطا بتقليد يفوق الألف عام .

و فى بعض الأحيان يحاول بعض الفنانين ذوى النزعة التلقائية أو هؤلاء التابعين لبعض المدارس الفنية أو الراغبين فى تحقيق بعض التجارب الخاصة ، يحاولون (و ذلك ضد التيار السائد) استعادة و استرجاع الصعوبات و الدقائق المهارية الخاصة بالفسيفساء القديمة أو التقليدية ، رغبة منهم فى الوصول الى قيم تعبيرية فقدت على مر العصور.
فهناك اعتبارات ذات قيمة يجب عدم اغفالها ، و ذلك فيما يتعلق بأعمال الفسيفساء القديمة . مثل لمعان و تشابه و تساوى الأسطح ، و هى عناصر كانت تعطى لنوع معين من العمارة

امكانية " نفى " الجدار ، مما جعل الفنانين القدماء ينظرون لفن الفسيفساء باعتباره منبعا لنور منعكس و مع ذلك ينقل احساسا بالغموض و العمق و أيضا بالرصانة و التماسك .

ان (فسيفساء النيل)- هو ما سيدور حوله موضوع هذا البحث- ، ليس معروفا لدى الكثيرين ، و ذلك على الرغم من أهميته المتميزة فى تاريخ هذا الفن العريق .
و للوهلة الأولى ، يبدو لنا اسم هذا العمل مألوفا ، حيث يحمل اسم نهر النيل العظيم ، و من البديهى أن يخطر بذهن العديدين أنه يوجد بمصر ، و لكنه و للأسف يوجد بمدينة صغيرة بايطاليا اسمها (باليسترينا Palestrina) . لقد حمل هذا العمل نفس روح الأعمال التى وجدت فى نفس الفترة التاريخية المعاصرة له ، و هى الفترة أو المرحلة الهيلينستية (Hellenistic Period) ، و التى سوف يأتى الحديث عنها لاحقا .

و يعد من الضرورى الاشارة هنا الى أهمية رجوع الدارسين لفن الفسيفساء فى بلدنا ، الى التحليل والدراسة والبحث عن قرب فى هذه الأعمال القديمة ، ليس فقط بغاية التعرف على التقنية و الخامات المستخدمة ، و لكن الأهم من هذا و ذاك هو التعرف على الروح التى اتسمت بها تلك الأعمال ،و التى حملت من الشحنات الوجدانية ما جعلها تحول الخامات الجامدة الى ذبذبات لونية متغيرة مع كل اختلاف فى زوايا الرؤية ، كما أنها جعلت من الجدران الرصينة مساحات ممتدة من الخطوط و النقاط و البقع اللونية المتناغمة التى اتسمت بخفة وشفافية أعطت لها بعدا روحيا دفينا ، و ذلك على الرغم من أن كثيرا من الموضوعات المتناولة كانت تدور حول الحياة اليومية و تبدو انها لا ترتبط بالبعد العقائدى .

المرحلة الهيلينستية

قبل التحدث تفصيليا عن فسيفساء النيل ، نعطى نبذة تاريخية عن المرحلة الهيلينستية على اعتبارانها من المراحل التاريخية الهامة التى ازدهر فيها الفن فى منطقة البحر الأبيض المتوسط بشكل عام و خاصة فن الفسيفساء . كانت " الهيلينستية " حضارة خرجت الى الوجود فى أواخر العصر الألفى الثانى قبل الميلاد ، و احتفظت بشخصيتها منذ ذلك التاريخ حتى القرن السابع من العصر المسيحى . و كان أول ظهور لها على جانبى البحر الايجى،

و انتشرت من هناك الى ما حول شواطىء البحر الأسود و البحر المتوسط ، ثم لتسع نطاقها برا فتوغلت صوب الشرق الى آسيا الوسطى و الهند و امتدت غربا الى شواطىء شمال أفريقيا و أوروبا المطلة على المحيط الأطلنطى ، بما فى ذلك جزء من بريطانيا. (شكل ١)

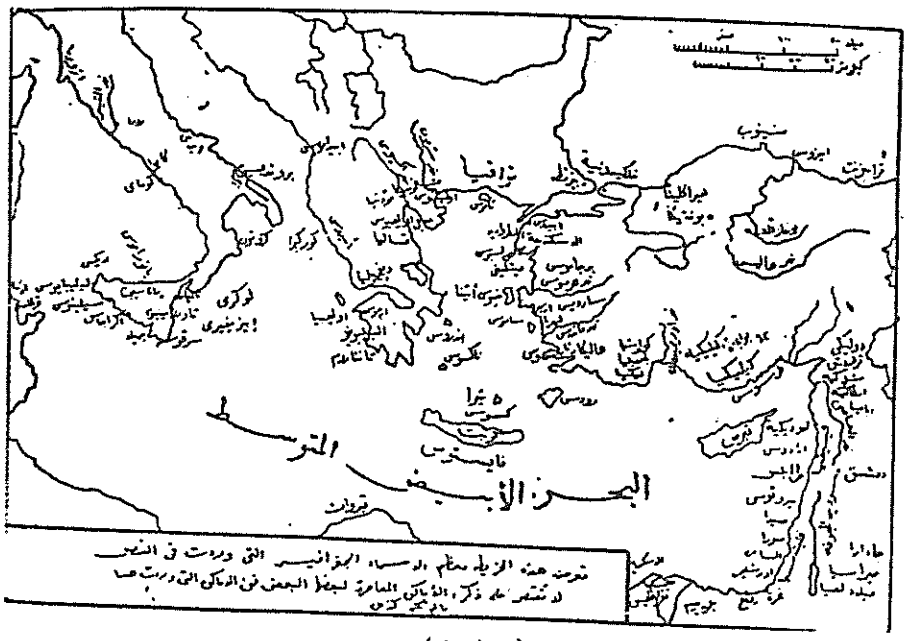

(شكل ١)

(خريطة تبين المناطق التى ظهرت فيها الحضارة الهيلينستية)

(و يبدو أن لفظ (هيلاس) كان فى الأصل الاسم الذى أطلق على المنطقة الواقعة حول رأس خليج " ماليك " على الحدود التى تفصل بين وسط و شمال اليونان .

و اذا كان من المتعذر أن نقرن الحضارة الهيلينية بدولة بعينها أو بلغة بذاتها ، فكيف يمكن لنا معرفتها ؟ ان جوهر الهيلينية ليس جغرافيا أو لغويا ، انما هو اجتماعى ثقافى . لقد كانت الهيلينية طريقة مميزة من طرق الحياة ، و ان أى فرد استطاع التأقلم مع الحياة على النسق الذى تجرى عليه داخل المدينة الدولة فانه يعد هيلينيا ، بغض النظر عن أصله أو منبته .

و يعتبر الرومان من أعظم الشعوب التى اعتنقت الحضارة الهيلينية ، سواء تلك التى كانت تتكلم منها اليونانية أو التى لم تكن تتكلمها .) (١)

ان الفترة الهيلينستية، و التى تعد من الفترات الهامة بالنسبة للتاريخ القديم لمصر، حيث فيها الامتزاج بين الثقافتين المصرية و اليونانية، فقد استقر اليونانيون بجميع مناطق وادى النيل جالبين معهم كتبهم الكلاسيكية القديمة... ففى هذه الفترة توفرت المعلومات الخاصة بها عن

طريق وسيلتين رئيسيتين : السجلات المدونة على أوراق البردى و ذلك لسهولة الكتابة عليها، و هذه هى الوسيلة الأولى، أما الثانية فهى أن البيئة المصرية أتاحت امكانية حفظ تلك الوثائق المكتوبة بيسر لأن المناخ المصرى ساعد على تحقيق ذلك.

ان الأحداث التاريخية المدونة فى هذه الوثائق يمكن أن تمثل السجل الحى لتاريخ البشر الذين عاشوا فى تلك الفترة بوادى النيل، تلك الفترة الشديدة الأهمية ليس فقط بشكل خاص بالنسبة لتاريخ مصر، و لكن بالنسبة لكل مناطق البحر المتوسط .

النيل و الحياة المصرية :

عبر مسار التاريخ الطويل، تحددت شخصية و نمو الأراضى المصرية بارتباطها بالنهر العظيم الذى يسير فيها...نهر النيل.

أثناء فترة الألف عام ق.م التى كانت مصر فيها تحت سيطرة الحكم اليونانى.ثم الرومانى وفى النهاية البيزنطى، امتدت الأراضى المصرية من شواطىء البحر المتوسط شمالا و حتى السد الأول بالنيل بالقرب من جزيرة فيلة جنوبا. أما من ناحية الغرب فكانت الصحراء الليبية تمتد مع حدود الأراضى المصرية، و كان من العسير المرور من خلالها. أما من ناحية الشمال الشرقى فكانت توجد الحدود بين مصر و الصحراء العربية بالجزيرة العربية. و كانت أكثر المناطق الخصبة الصالحة للزراعة بمصر فى ذلك الوقت تتركز فى ثلاث مناطق هى وادى و دلتا النيل و الفيوم. ان سبب خصوبة أراضى الفيوم كانت ترجع الى احاطتها ببحيرة (الفيوم) و التى كانت تغذيها (قناة يوسف) و هى قناة متفرعة من النهر العظيم.

ان المناطق السابق الاشارة اليها، كانت هى المناطق الأكثر صلاحية للسكنى بمصر، و هى التى كانت تحيط بالنيل، أما اذا اتجهنا أكثر شرقا أو غربا، فكانت الصحراء هى الامتداد الوحيد، و التى لم يكن من السهل تعميرها الا بمجموعات قليلة من البدو المتفرقة.

حوالى قرن ق.م قبل أن تقع مصر تحت سيطرة الحكم اليونانى، وصف المؤرخ التاريخى (هيرودوت) الظاهرة الطبيعية الأكثر ادهاشا بمصر، وهى الفيضان السنوى للنيل محاولا معرفة أسبابه. (لقد كتب الجغرافى (سترابون) أثناء حكم الامبراطور (أغسطس) أنه من الأسباب الرئيسية لحدوث فيضان النيل السنوى، الأمطار الصيفية الآتية من الحبشة. و قد لاحظ بأن مناطق الدلتا أثناء فترة الفيضان، كانت تمثل مشهدا مؤثرا، فكتب : " تبدو البلاد

بأكملها مغطاة بالماء و كأنها تحولت الى بحيرة، فيما عدا المناطق السكنية التى تم بناء مبانيها فوق تلال صناعية، و التى تبدو عند رؤيتها من مسافة بعيدة و كأنها جزر وسط البحر".)(٢)

لقد وجد (هيرودوت) أن عملية الزراعة بعد حدوث الفيضان تبدو بالنسبة للفلاح المصرى سهلة للغاية، و ذلك لأن المصريين كانوا ينتظرون حدوث الفيضان فى أراضيهم الزراعية، و بعد أن تنسحب المياه، يرمى الفلاحون البذور و يغرسونها جيدا..ثم ينتظرون نمو المحصول و بذلك فان حدوث الفيضان ثم انتظاره مرة اخرى كان يشكل نمط الحياة بجميع مظاهرها. و بلا شك فان أكثر فترة بلغت مساحات المناطق الزراعية أقصاها من حيث المساحة خلال الفترة ما بين الحكم البطلمى و حتى ذلك الرومانى.

لقد تمتعت المناطق المزروعة حول النيل بتعدد المحاصيل الزراعية و أيضا بأنواع مختلفة من النباتات و الأزهار، من أشهرها نبات " البردى" و الذى وجد خاصة بمستنقعات الدلتا و الذى تم استخدامة لعمل أوراق البردى الشهيرة و التى صدرت لكل بلاد البحر المتوسط، كما تم استخراج الطعام و الملبس و نوع من الألياف المستخدمة فى صناعة الحصير من نفس النبات. أما بالنسبة للأشجار و النخيل، فكانت توجد نوعان من النخيل (النخلة البلسمية و النخلة ذات ثمار البلح)... و الأشجار كانت أنواعها متعددة مثل شجرة الطلح (Acacia)، شجرة الجميز، (الأفنتوس) و هو نبات شائك من فصيلة الأقنثيات، شجرة البرقوق و شجرة السنديان. و الى جانب أنواع متعددة من الحيوانات البرية و المائية التى وجدت على ضفاف النيل، فكانت هناك تنوعات سمكية كبيرة، بعضها مقدس و الآخر كان يصدر حتى الى روما. أما المعادن فكانت أيضا متنوعة، فحتى اليوم يمكن ايجاد منتجات أثرية من حفريات الجرانيت الأحمر بأسوان و التى تتجسم فى أجزاء المبانى الأثرية المنتشرة بوادى النيل: كانت المسلات الضخمة تقطع بموقعها (أى موقع المعادن على الطبيعة) ثم تنقل عبر مسار النيل فى مياه النيل الى الوادى.

فسيفساء النيل

يوجد فسيفساء النيل بمدينة (باليسترينا Palestrina) التى تقع على بعد ٢٣ ميلا شرق عاصمة ايطاليا روما . لقد وجد هذا العمل فى الأصل فى مذبح معبد (ايزيس) الذى كان بالساحة الرئيسية لمدينة (Praeneste) و هو الاسم القديم لمدينة (باليسترينا) الحالية ، و التى تم تأسيسها عام ٨٢ قبل الميلاد ، و مؤسسها هو الامبراطور (سيلا Silla) .

(لقد تزامن بناء هذا المعبد مع معبد آخر هو (La Fortuna) و ذلك فى حقبة الأزدهار لمدينة (Praeneste) ، و تبعهم انشاء ميناء (فرانكو دى ديلو Franco di Dello) عام ١٦٦ ق.م. على بحر ايجا .

ان القيام بذلك العمل من الفسيفساء حوالى عام ١٢٠ ق.م ، أكد على وجود علاقات قوية مع مصر مع نهاية حكم بطليموس الثامن (١٤٥-١١٦ ق.م) . (٣)

يمثل الفسيفساء المنظر الطبيعى للنيل كما تخيله الرومان خلال فترة قنصلية (تشيبيونى اميليانو Cipione Emiliano) اثناء وجوده فى مصر . (شكل ٢)

(لقد كتب " بلوتارك Plutarc " عن هذا العمل المتميز قائلا : " ان هذا العمل تم نتيجة الاعجاب الشديد بجمال هذه البلاد (مصر) ، و فائدة النيل ، والعدد الكبير من المدن و التنوع السكانى ، وبسهولة الدفاع عنها .. و هى أرض تحمل من المزايا ما يؤهلها لضمان الأمان لامبراطورية كبرى.." (٤) و تبلغ مساحة الفسيفساء ٦،١٥ متر عرضا و ٥،٠٦ متر طولا. لقد تم تنفيذه فى الأصل ليشكل أرضية حوض من المياه ، و لذلك تم عمل انخفاض بسيط فى وسطه ، كانت تغطيه طبقة رقيقة من الماء محققا بذلك ابداع ما يشابه منظر النيل فى الطبيعة. و العمل مكون من قطع صغيرة منتظمة و هو معروض حاليا على الجدار كما لو انه يمثل فسيفساء جدارية ، وتعتبر هذه الطريقة فى العرض مثيرة بالنظر الى أصل الموضوع.

ان قطع الفسيفساء الخاصة بهذا العمل ، مازالت محتفظة بألوانها الأصلية ، و ذلك على الرغم من تعرضها للعديد من أعمال الترميم و النقل (و سيأتى الحديث عنها تفصيليا تباعا).

و يعد من الهام معرفة أن هذا العمل المتميز تم تنفيذه من قبل فنانين من الأسكندرية ، كما أن الخامات المستخدمة فى تنفيذه تم جلبها من (أتيليهات) بالمدينة نفسها.

(فكان عدد كبير من فنانى الفسيفساء السكندريين يسافرون عبر ميناء(بوتيوليس Puteolis) و معهم عدد هائل من القطع الجاهزة متجهين نحو روما لتنفيذ العمل. ان ميناء (بوتيوليس Puteolis) كان على اتصال مباشر بميناء الأسكندرية ، و تم نقل عدد كبير من الأحجار و الرخام (التى تتميز بأنها أشد صلابة و أخرى أكثر نعومة) الى مدينة روما عبر ذلك المسار.

و هكذا و عن طريق المعامل الموجودة بالاسكندرية ذات التقنية الرفيعة ، تعرف الايطاليون على البلاطات المزججة السكندرية ، هذا نظرا لأن الأسكندرية كانت تمثل فى ذلك الوقت المركز الرئيسى لأرفع و أرقى الدراسات الفنية). (٥)

(و يرجع ابداع و تصميم هذا العمل للفنان (ديمترى) وهو فنان يونانى يعيش فى الأسكندرية فى ذلك الوقت . و بالتأمل فى تفاصيل العمل يبدو لنا واضحا أن هذا الفنان كان من المؤكد واسع الاطلاع فى أكثر من علم ، و بلا شك أنه تمكن من قراءة الكتب القيمة التى احتوتها مكتبة الأسكندرية القديمة). (٦)

ولقد تعرض فسيفساء النيل لصعوبات عدة ، و ذلك أثناء عملية فكه من الأرضية التى كان موضوعا عليها (حوالى عام ١٦٢٥ م) و كذلك أثناء نقله الى مدينة روما ، مما عرض العديد من أجزائه الى التلف . و بعد ترميمها تم وضعه فى الساحة الخاصة بالصالة الموجودة فى الطابق الأخير لقصر (باربيرينى Barberini) بمدينة (باليسترينا Palestrina) . و لكن فى عام ١٨٥٣ م تم نقله مرة أخرى الى روما ثم استرجاعه ثانية عام ١٨٥٥ م . و مع حدوث الحرب العالمية الثانية ، تم تجزئته و نقله مرة أخرى خوفا من أن يتم تدميره أثناء الحرب . و أخيرا و فقط فى عام ١٩٥٢ تم وضعه بصورة نهائية فى المكان الذى يوجد به حاليا و هو قصر (باربيرينىBarberini)بمدينة (باليسترينا Palestrina).

يعكس هذا العمل النادر من الفسيفساء ، الروح الدينية السائدة بمصر ، و كذلك العلم ، الجمال و ألوان السماء فى وقتى الفجر و الغروب . و نرى عبر تتبعنا لمسار النهر، مشاهد تصور عملية الصيد بالقوس فى مصر العليا ، و بالحراب فى منطقة الدلتا. كذلك يمكن التعرف على الأنواع المختلفة للحيوانات البرية و المائية الموجودة بمصر، و تحديد النشاط الرئيسى للشعب المصرى فى ذلك الوقت و هو الزراعة . (ان الدرجات اللونية لقطع الفسيفساء (و هى درجات لا نهائية) ، أعطت امكانية التعرف على العديد من أنواع الطيور كالحمام و البط و الأوز التى تنتمى لفصائل منقرضة) . (٧)

و يمكن التعرف على طبيعة الأرض المصرية و التى تتنوع من الصخور المنتشرة و المتفرقة الى المنظر الطبيعى الممتد ، من منطقة السافانا بكل كائناتها الحية و حتى المناطق الزراعية ، من تعدد وتنوع الحيوانات البرية و حتى الحيوانات المنزلية ، هذا الى جانب العدد الهائل من الكائنات الاسطورية ، و يمكن ملاحظة أن حضور الإنسان يبدو أكثر كثافة و تحديدا كلما اتجهنا نحو المصب .

(ان تصميم هذا العمل من الفسيفساء و غنى ألوانه ، أظهر أن منطقة البحر المتوسط كانت مركز الدراسات العلمية للفنون و للتقنيات الحرفية حتى القرن الأول الميلادى) .(٨)

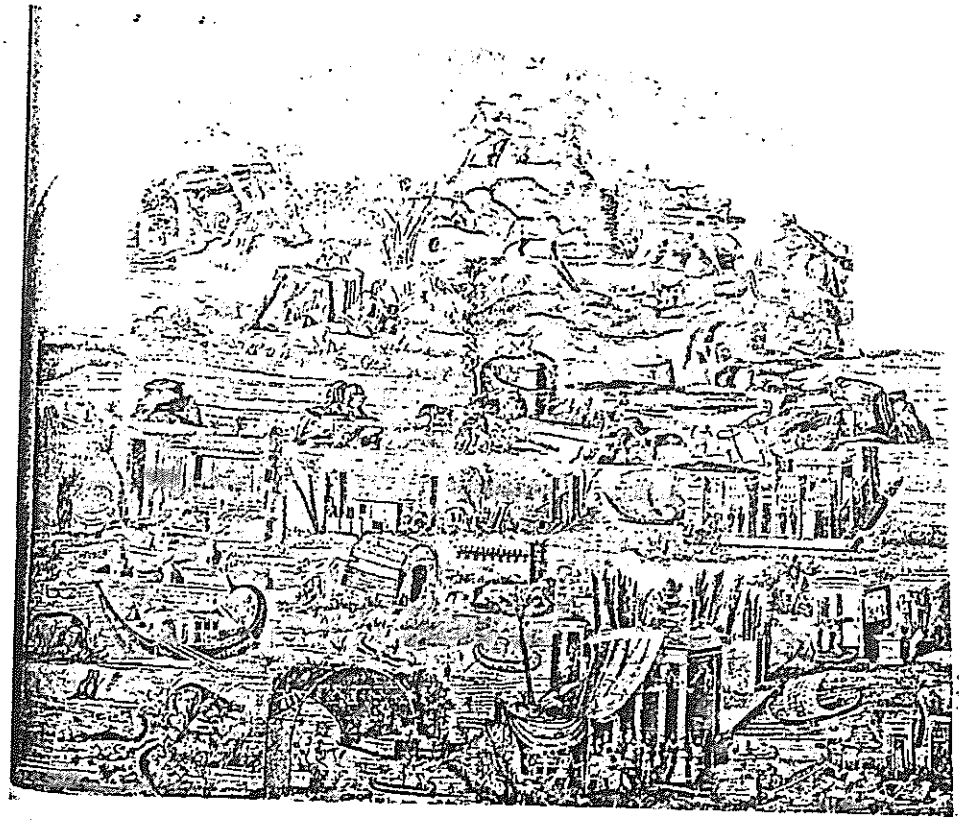

(شكل ٢)
(منظر كلى لفسيفساء النيل)

عندما نتأمل هذا العمل بشكل مجمل ، نجده كما لو أنه يبين خريطة لمصر عبر مسار النيل . ففى الجزء العلوى تبدو منطقة الحبشة ذات الطبيعة الصخرية و بها الصيادون الداكنو البشرة يقومون بالصيد بالأقواس و الحراب للطيور التى توجد على جوانب النهر.أما فى منطقة الدلتا، فان الصيادين يوجهون رماحهم الى فرسان النهر المغمورين بالماء. و فى الزوارق فان الرجال مستغرقون فى الصيد، وبالقرب منهم فى الأكواخ يظهر آخرون يقودون ثيرانهم الى المراعى و يزرعون الحقول. (شكل ٣)

و الكائنات الحقيقية و أيضا الخيالية تم الاشارة اليها بأسماء يونانية. و يمكن التعرف من بين العديد من تلك الكائنات على الفهد و الأسد و فرس النهر الذين انقرضوا حوالى عام ١٠٠٠ ميلادية ، و كذلك أنواع من التماسيح و الغزلان و الثيران و ابن آوى و الضباع ، و القرود و الزراف و السلاحف ، و الحمير و الثعابين و الخنزير البرى. (أشكال ٤ ، ٥)

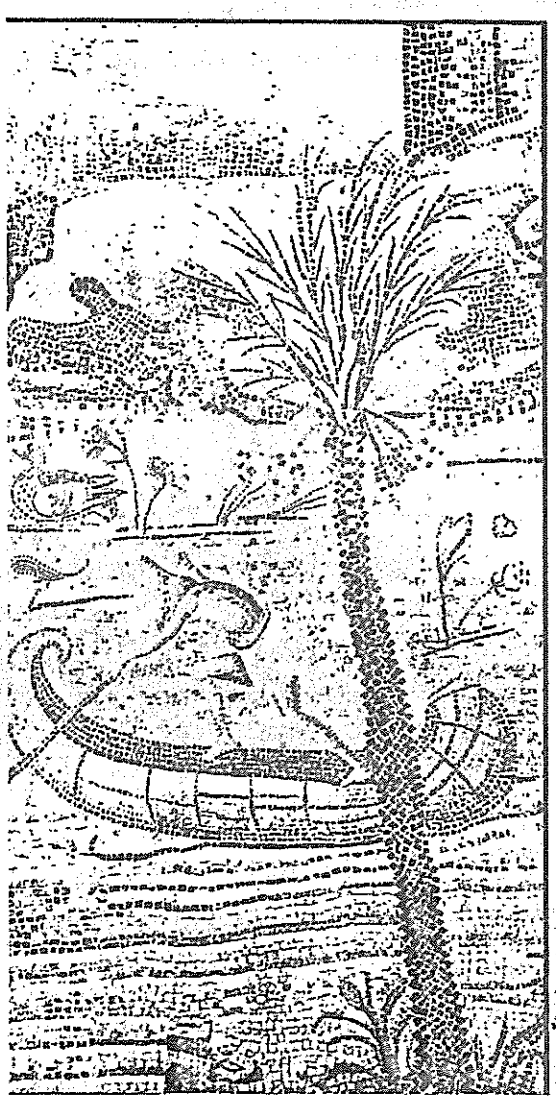

(شكل ٣)

(جزئية تظهر أحد الصيادين فوق زورقه و حوله الأزهار و النباتات المائية)

و تظهر زهرة اللوتس عائمة على سطح النيل، و كذلك نشاهد أوراق عيدان القصب النخل و قد تم تنفيذها بألوان غاية فى الرق والشفافية .

أما بالنسبة للمبانى و العناصر المعمارية ، فى منظورها القديم ، فانها تبين المعرفة الكاملة للفنان المصمم بخصائص تلك المنشآت و الأبنية المصرية ، و نجده قد استفاد من نظام المنظور المصغر المشابهه لذلك الذى يستخدم فى تصوير المناظر المسرحية . كما ان المسلات لها الجسم الذى يستند على قواعد مربعة و منخفضة ، و ان اسلوب الأبنية يبين امكانية الاستخدام الأفضل لكيفية توظيف القوالب الحجرية أو المصنوعة من الطوب فى أكبر أحجامها.

(شكل ٤)

(جزئية من الفسيفساء تبين احدى الحيوانات الخيالية و المكتوب أسفله باليونانية)

لقد استخدم البناؤون الذين شيدوا المبانى المصرية فى العصر المتزامن مع هذا العمل المتميز، انواعا متعددة من الخامات الطبيعية المحلية (أى تلك الموجودة بمصر فى ذلك الوقت و قبله) ، مثل البازلت و الجرانيت و الأحجار الجيرية البيضاء و الرملية فى بناء و تشييد مختلف العمائر و الأبنية الأثرية ، و منها ما نجده مصورا فى أجزاء متفرقة من هذا العمل. (شكل ٦).

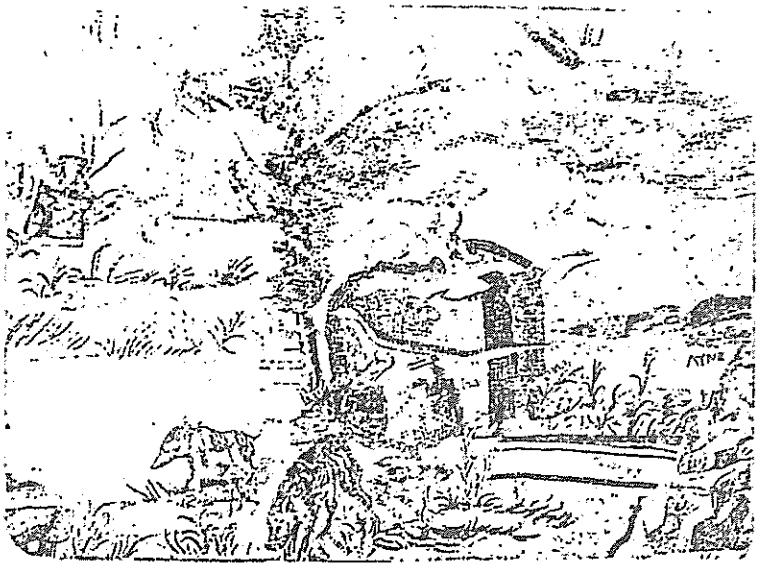

(شكل ٥)

(جزئية أخرى من العمل و بها أشكال متعددة من الحيوانات)

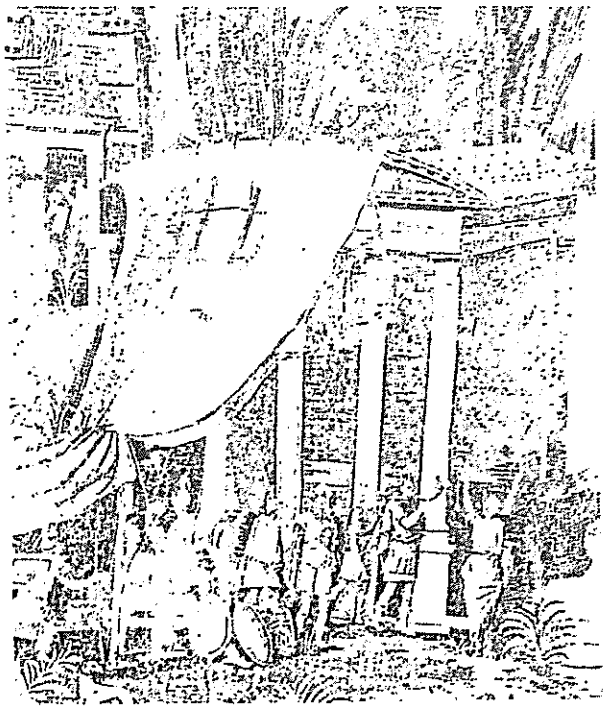

(شكل ٦)

(تفصيلية تبين موكب لمجموعة من الجنود الرومان بمدينة الاسكندرية)

ان أعمدة البوابات و الصالات والقاعات المحيطة بها أضافت تناغما للعمل يجمع بين درجات الفاتح والغامق . كما أن هناك عناية شديدة بالعنصر الانسانى فى أرديته المختلفة ، فرجال الدين يرتدون أردية من الكتان الأبيض و الجنود نجدهم فى أرديتهم العسكرية فى أدق تفاصيلها . أما الرجال فى أعلى ووسط و أسفل مصر نجدهم ممثلين بأزيائهم التقليدية فى وظائفهم اليومية.

كما نرى عددا من سفن الحرب التى لها أكثر من صف من المجاديف و هى محملة بالجنود المدرعين ، فى حين يسحب البحارة الأشرعة فى سفن النقل. و فى الجزء الأوسط من العمل و تحديدا من ناحية اليسار ، نجد مصورا بئر (سين Saene) و الذى يوضح الطريقة التى كان يتم بها قياس ارتفاع مياه النيل و كذلك تبين أن العلماء كانوا على درجة من المعرفة مكنتهم من قياس القطر الأرضى لميل أشعة الشمس على سطح الماء فى هذه الآبار.

إن الألوان المستخدمة و اسلوب التثبيت و أوضاع قطع الفسيفساء المرصعة جعلت هناك امكانية لوجود حركة متناغمة تتمشى مع تمثيلات مياه النيل . و فى الجزء السفلى من العمل و من ناحية اليمين ، يظهر مصورا مشهدا لميناء الأسكندرية وهى تستقبل جمعا من الجنود. كما تظهر فى نفس الجزئية ، جزيرة (فاروس) .

إن الألوان التى استخدمت فى هذا العمل هى مختلف الألوان الترابية و درجات الأخضر و الأبيض و كذلك درجات الأزرق النيلى (و هى درجات ألوان الطبيعة المصرية)، و هذا ما جعل من هذا الفسيفساء مشهدا حيا لأجزاء مصر عبر مسار النيل جامعا بين بساطة و تلقائية الروح المصرية وبين التراكيب المعمارية لمختلف الآثار من معابد و قصور قديمة فى تداخل و امتزاج متناغم و غير متناقض.

و من الناحية الاستاطيقية، فان الاسلوب البنائى للتشكيل فى فسيفساء النيل نجده قد حقق بعدا عميقا معبرا عن روح الفترة الهيلينستية حيث الامتزاج بين الثقافة اليونانية و الثقافات الشرقية، و بخاصة المصرية . ان التصميم الكلى لهذا العمل الفريد يجمع فى رؤيته بين منطقين مختلفين فى حل المنظور فى آن واحد: الأول هو منظور عين الطائر و الثانى هو الاسقاط الأمامى ، هذا لأن الفنان الذى صممه أراد أن يبين فى مساحة محددة (هى مساحة الفسيفساء) شكلا لخريطة مصر عبر مسار النيل من مصر العليا و حتى الدلتا فى اثناء فترة فيضان النيل (و هذا من منظور رؤية الطائر)، أما تفاصيل العمل مثل شكل الأشخاص والحيوانات و المبانى المختلفة، فتبدو فى منظور عادى.

ان قطع الفسيفساء المستخدمة فى التنفيذ كانت شديدة الصغر، و مع ذلك تبدو براعة و تمكن الفنانين الذين نفذوا هذا العمل واضحة فى جميع تفاصيله، هذا لأنهم لم يكونوا مجرد منفذين لتصميم محدد، و لكنهم تشاركوا مع الفنان المصمم فى نقل الحالة أو الروح السائدة لفترة من الفترات التاريخية الهامة لمنطقة البحر المتوسط.

ان هؤلاء الفنانين كانوا من الاسكندرية (حيث إنها كانت تعد مركزا هاما للفن و الثقافة فى حوض البحر المتوسط فى ذلك الوقت). و هذا يدعو للتأمل قليلا فى مدى الأهمية التى حظيت بها مدينة الاسكندرية قديما، فهذا التراكب الثقافى و التاريخى و الذى يبدأ منذ أقدم العصور مارا بمراحل و فترات مختلفة، حيث تقلت روح الاسكندرية من خلال أنواع متعددة من الثقافات سواء المحلية أو الواردة ، و المتداخلة فى مزيج متناغم أنتج ذلك الحس الدفين بروح المكان و الزمان و الذى نقلته كل الفنون و العلوم المعاصرة لذلك الوقت.

لقد تصور الفنان المبدع لهذا العمل ، فى رؤية تجمع بين الحقيقة و الخيال ، و كأنه يقوم بمشاهدة شاملة لمصر و ذلك من أعلى قمة فنار الأسكندرية القديم.

(المراجع)

١) أرنولد توينبى – ترجمة: رمزى جرجس – مراجعة: د.صقر خفاجة (تاريخ الحضارة الهيلينية) – الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٣ ص ١٩ ، ٢٥ ، ٢٧.

1) Alan K.Bowman (L'Egitto dopo i Faraoni) – Giunti Gruppo Edit.Firenze 1997 p.15,16,2

2) Isotta Fiorentini Roncuzzi – Elisabetta Fiorentini (Mosaico tecniche e storia) – MweV Editions 2001 p.64

3) Ibid : p.65,66

4) Guillini.G. (I mosaici di Palestrina) Roma, 1955 p.36

5) Paolo Moreno (Nel museo di Palestrina : il mosaico del Nilo)- Riscopresta del Mosaico – Febbraio 1998 – Sydaco Editoriale p.7,8,9

6) Colloquio Internazionale sul mosaico antico – a cura di R.Farioli Campanati – Ravenna 1980 p.17

7) (Palestrina) Il museo Archeologico Nazionale – Soprintendenza Archeologica per il Lazio – Electa , Milano 1999 p.64,66